شخصيات التراث الإسلامي أهم من شخصيات شكسبير

الفنان المصري عبدالغفار عودة: المسرح الإسلامي غير موجود

انتشر مصطلح "المسرح الإســـلامي" بين الكثير من المسرحيين في مصر خلال ثمانينات القرن الماضي، فقد أنتشر هذا الشكل، الذي نشأ وترعرع في أحضان ما يسمى بالصحوة الإسلامية، والذي اعتبر اتجاها أو شكلاً من أشكال مسرح الهواة. ولكنه في جوهره يفتقد إلى دقة التسمية، كما أن مجرد اصطدامه بالمؤسسات الدينية يتبدد ويجهض قبل أن يولد، حيث تحاصره الموانع والنواهي ما يجعل منه مسرحا مشوها في تشخيص شخصيات من التاريخ الإسلامي. في ما يلي حوار جري، حول المسرح الإسلامي والثقافة مع الفنان المصري الراحل عبدالغفار عودة.



التقبت الفنان عبدالغفار عودة في الإسكندرية أثناء إخراجه لإحدى المسترحيات المعروضة على خشبة مسرح سيد درويش عام 1983، وكان وقتها مديرا للمسرح المتجول، وقد أخرج وشارك بالتمثيل في الكثير من المسرحيات مثل "ســت الحسن" و"السبنســة"، كما اشتهر بدوره في مسلسل "محمد رسول الله" . فى تلك الفَّترة، حيث أدى شخصية فرعون مصر في زمن النبي موسى عليه السلام، فحقَّـق نجاحــا جماهيريّا كبيــرا، وربما مشاركته في هذا المسلسل الشهير جعل الكثيرين يســـألون عــن إمكانية وجود ما يسمى بـ "المسرح الإسلامي"، إلى جانب الدراما الإسلامية والدينية والتاريخية التلفزيونية، وهذا ما دفعني إلى لقائه -وأتذكر أنه كان في غرفته بفندق سيسل-

أرسلت الحوار للنشير في إحدى الجهات التي كنت أتعامل معها في ذلك الوقت، ولكنه لم ينشسر، ربما بسبب أرائه الجريئة التي سنقرؤها هنا حول موضوع "المسرح الإسلامي"، هو لم يعترض على المسمَّىٰ أو المصطلح، ولكنه كان يعترض على المعترضين على ظهور الشخصيات الإسلامية على المسرح أو حتى في السينما والتلفزيون، عدا شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

للحوار معه حول هذا المسرح.

مرت سنوات علئ إجراء الحوار، وسافرت للعمل خارج مصر وعدتُ وفتحت



ولد عبدالغفار عودة في الثاني من يونيو بالدقهلية عام 1940، وحصل المسرحية عام 1964 قسم التمثيل والإخراج، ثم حصل على شهادة في الإخراج المسرحي من جمهورية المجر عام 1972 تشمل الجانبين العملي

انضه لعضوية المسرح القومى ممثلا ومخرجا، وعمل في قسم المسرح بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وكان عضوا بمجلس نقابة المهن التمثيلية على مدى سبيعة عشير عاما. كما عمل في وزارة الثقافة لمدة 42 عاما حتى وصل إلى درجة وكيل وزارة. بدأ مسيرته الفنية في المسرح في

فترة الستينات من القرنّ العشرين، حيث أخرج مسرحيته الأولئ وعنوانها "ورق ورق". وشنغل منصب نقيب الممثلين لدورتين متتاليتين، وأسس المسرح المتجوّل وعمل مديرا له. من أهم أعماله التلفزيونية كممثل: «محمد رسول الله»، والذي يتكون من خمسة أجزاء بدأ عرض الجزء الأول في رمضان 1980، كما شارك في أجزاء أخّرى من هذا المسلسل الرمضاني، فضلا عن مشاركته في مسلسلات دينيــة وتاريخيــة أخرىً مثــل "لا إله إلا الله" في دور هامان، و»الكعبة المشرفة»، و «تحت ظلال السيوف»، و «هـــارون الرشــيد»، و"القضــاء في الإسلام"، و"السيرة الهلالية"، و"وادي فيران"، و"ألف ليلة وليلة" و"الأبطال"، و"إمام الدعاة". كما أن له العديد من المسلسلات الإذاعية والمسرحيات التي أخرجها وشارك

بالتمثيل في بعضها.

دفاتري القديمة وكراتين الكتب المغلقة لأستعيد موضوعات قديمة بعضها نشر والبعض الآخر لـم ينشر، وكان من بين الذي لم ينشر حواري مع عبدالغفار عودة الــذي رحل في 23 فبراير عام 2003 (والذي يصادف عيد ميلادي الخمسين) قبل أن يرى حواري معه منشورا في أي جريدة

الإسلام والمسرح

■ الفنان عبدالغفار عودة له تاريخ فني تلفزيوني وإذاعي ومسرحي عربي حافل بالأدوار الإسلامية التي أداها في المسلسلات الدينية والتاريخية المختلفة، فهل نستطيع أن نقول إن لدينا مسرحا إسلاميا الآن بين مسارحنا المختلفة؟

• عبدالغفار عبودة: مسئلة المسرح الإسلامي في الحقيقة مسئلة شيائكة بعض الشبيء وتحتاج إلى كلام كثير لأن تقسيم المسرح إلىٰ نوعيات؛ مسرح تراثى، مسرح إسلامي، مسألة لم تخرج إلى حيّن الاحتراف، أو حيز العرض المتكامل، ولكن وصلت إلى حدود الهواة في بعض المراكز الثقافية أو النوادي أو الجمعيات، فمثلا حمعية الشيبان المسلمين من الممكن أن تقدم مسرحية عن حياة فلان، وكلها اجتهادات حول بعض الشخصيات أو المواقف

فى تصوري أن المسرح الإسلامي غير موجود لأنه يفقد الأساس في سبب قيامه ألا وهو الشخصية الإسلامية التي يدور حولها الفن المسرحي، حتى يتولد من خلالها عملية الصراع، ويتم من خلالها عملية البناء الدرامي أو التلاحم العضوي في العمل الفني، إنها غير موجودة على الإطلاق، ليس لأنها غير موجودة تاريخيًا، ولكن لأنه غير مصرح ظهورها على خشبة المسرح أو من خلال التلفزيون أو السينما. نجد أن الرقابة على المصنفات الفنية والأزهر الشيريف، وكل مين له صلة بعالم الإسلام أو الدين يمنع بالقطع دون نقاش

ودون جدال ظهور الشخصيات التالية: سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أل البيت، الخلفاء الراشيدون، العشيرة المبشرون بالجنة، الصحابة. طبعا أمام هذا الحظر وهذا الكم

الهائل من الممنوعات، تتحول الشخصية الفنيـة من خلال راو أو من خلال السـرد أو من خلال شـخصية مبلغة مما يضعف الجانب الإسلامي أو الجانب المؤمن في الدراما، لذا تحد الشخصيات الكافرة أو الشخصيات التي تحمل وجهة نظر مناوئـة للإسـلام موجودة ولهـا حضور ولها كيان، مثل شخصية أبى لهب، وأبى سفيان، وأبى جهل، كل هذه الشخصيات تمارس وجودها في العمل الدرامي، أما المعادل لها دراميا أو فكريا فغير موجود، فمثلا سيدنا عمر بن الخطاب لا يظهر، ولكن يظهر من يحكى ويقول إن سيدنا عمر عمل كذا أو قال كذاً، ولكن أبن سبيدنا عمر نفسه، فشخصيته غير مصرح بها للظهور أو ممنوع ظهورها.

■ هل هذا قصور في مسلسلاتنا الإسلامية؟

• عبدالغفار عودة: بالطبع هذا قصور صارخ، ورأيى أن هذا السبب الأساسي والأول في عدم ظهور مسرح إسلامي حقيقي، كلُّ ما هـو موجود من اجتهادات في الكتابة أو اجتهادات في الإخراج أو اجتهادات في الإنتاج سواء كان من خلال التلفزيون أو من خلال الراديو أو المسرح، كلها اجتهادات محدودة، وستظل محدودة ولم تخرج إلى المسرح أو إلى أي فن يتناول التاريخ الإسلامي أو يتناول المسرح الإسلامي بصورة درامية حقيقية. ولدينا شخصيات ومواقف إسلامية

لدينا تراث إسلامي رهيب وهائل، درامية أخطر وأهم من الشـخصيات التي عرضها شكسبير مثلا. لدينا خالد بن الوليد، أهم وأخطر من عطيل أو هاملت أو الملك لير، لدينا عمرو بن العاص،

لدينا عكرمة، لدينا أبوسفيان.. حتى الشخصيات الكافرة عندما تبرز في تطورها من الكفر إلى الإسلام، أو في

أعمال عبدالرحمن الشرقاوي أن أجري حوارا حول هذا الموضوع وأن أقدم دراسة حول المسرح الإسلامي من خلال التعازي الشيعية، وهي أول أصل له علاقة بالمسرح الإسلامي، وهي تقدم في الكثير من الدول العربية، ولكتن تقدم في كل دولة بشكل معين، وهي تتناول حياة سيدنا الحسين في موقعة كربلاء، وما قبلها وما بعدها، ومَّا تم له من إجهاض وإحباط أو في النهاية إلى اغتياله، هذا الاغتيال المعروف في كربلاء، وعذاب الشيعة مما تسببوا في ألام لسيدنا الحسين وأخواته، وكل ما دار في هذه الموقعة.

ثائرا" و"الحسين شهيدا".

وقتها وجدت أن هناك بعض الشخصيات التي لها وزنها الفكري الإسلامي مثل الشسيخ متولى الشعراوي والشسيخ الباقوري لا يمانعون في ظهور عدا شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالطبع.

الإسلامية التي ذكرتها أنفا على المسرح؟

تطورها كشخصية مناهضة للأسلام، سنحد أن هناك أبعادا مختلفة لها في كفرها وأبعادا مختلفة أخرى في إسلامها،ً ولكن للأسف الشديد النظرة القاصرة من الأزهر وبعض المسلمين الذين لا يعرفون من الإسلام إلا قواعده الشكلية وتحفظاته وقد أتيحت لي الفرصة من خلال

إسلامية في مسلسلاتنا وأفلامنا كأن أظهر مثلا راويا أو أظهر ضوءا أو عصا تختفي وتظهر أو أشبياء من هذا القبيل. هــذه البدائــل إلى متى؟ أعتقــد أننا بهذا



مسدودة، فلن يستطيع مؤلف أن يكتب

بعد ذلك إلا وسيعيد ما كتب أو سيكرر ما

ظهر أو سيدور في نفس الفلك.

■ إذن ما الحل في رأى عبدالغفار عودة؟

• عبدالغفار عودة: الحل يأتى عندما

يرفع هذا الحظر وتتنفس الدراما

ية والمســرح الإسلامي من م

أن الإسلام ليس حكرا على الأزهريين،

وليسس حكرا على قرارات ما أنزل الله بها

من سلطان، فليس للمنع وجود في القرآن،

وليـس للمنع وجـود في السـنَّة، وليس

للمنع وجود في أراء الفقهاء الأربعة أو في

القياس، أو في أي مصدر إسلامي يمكن

متحجرة تقف بمفاهيمها في طريق تخلف

طويل جـدًا، وفرض هذا الـرأي فيه إهانة

للإسلام ولتاريخه، وفيه حجر على قيمه

وشـخوصه ومواقفه، ولـو أن هذا الحظر

الغي أعتقد أننا سوف نستطيع أن نتنفس

فنًا أنضج، ونجد مواقف وشخوصا

إسلامية حقيقية تكون مثلا وتكون

قدوة، ونستطيع أن نستعيد روح المسرح

الإسلامي، ونستعيد أصالته، وما نقدمه

الأن سنكتشف لحظتها أنه مجرد قشور في عالم الإسلام، وفي عالم الدراما الإسلام، وفي عالم الدراما الإسلامية.

■تعتقد أننا لو سلَّمنا جدلا بأن مثل هذا الحظر

قد رفع، فما أهم الشخصيات الإسلامية التي من

• عبدالغفار عودة: عبدالغفار عودة:

بالقطع شيخصية الرسيول عليه الصلاة

والسلّلام لن تظهر، ولكن هناك شـخوص

كثيرة مثل شخصية عمر بن الخطاب،

شخصية ثريّة جدا في نواحيها الدرامية،

ألم يكن عمر بن الخطاب كافرا قبل دخوله

إلى الإسلام ثم جاءته اللحظة الانحائدة

العظيمة فأسلم وآمن، وكذلك عمرو بن

العــاص وخالــد بــن الوليد، إنهم بشــر

عاديون، ولم يكن هناك وحى يتنزل عليهم،

ولكنهم شخصيات عادية كانت كافرة،

المكن أن نتعامل معها دراميًا؟

ولكن هذا المنع منع شيكلي لعقليات

شخصيات عظيمة

لقد أقمت هذا العرض في أكاديمية الفنون بالمعهد العالى للفنون المسرحية، وكنت أدرّس فيه، وحاولنا من خلال هـذا العرض أن نجري طرحا أو تصورا لفكرة المسـرح الإسـالامي. وكان موجودا عبدالرحمن الشرقاوي الذي اشتهر وبأعماله التي له فيها باع إسلامي طويل. وقد أحسست بمدى المرارة من خلال مناقشاتي معه، ومدى المعاناة التي يعانيها جرّاء إيّقاف مسرحيتيه "الحسين

■ إذن من أين يأتى رفض ظهور الشخصيات

• عبدالغفار عودة: الرفض يأتى من العقليات المتحجرة في الأزهر التي تنظر إلى الإسلام نظرة شكلية بعيدة عن الروح، فالإسلام يسر وليس عسرا، ومن خلال عرض شخوصه ومن خلال عرض تاريخه نجد فيه، في جيلنا وما نربيه من أحيال، عشرات الآلآف من الموضوعات العظيمة، والقدوة، ثم إن هذا يُكسب الدراما ويُكسب الثقافة ويُكسب الفن ويُكسب التراث الإسلامي ثراء وانتعاشا غير عادي، لأنني عندما أعرض لهذه المواقف ساعرض التاريخ الإسلامي، وسأعرض لشخوصه وسأبرز جوانب جديدة.

فإلى متى أظهر بدائل لشخوص وصلنا بالدراما الإسلامية إلى طريق



وعندما أسلمت وآمنت تحولت حياتها

التعازي الشيعية أول أصل له علاقة بالمسرح الإسلامي

إلىٰ النقيض وإلىٰ الضد. كل هذا لو أظهرناه دراميًا من خلال المسلسلات لكان شيئا عظيما. ومثلا لو دخلنا في سلمان الفارسي الذي قال عنه رسبول ألله صلى الله علية وسلم "سلمان الفارسي منكم آل البيت" هذه الشخصية العظيمـة ثرية جدا عاصرت عبـدة النار، وعندما أمنت بعبادة النار كرهت الحانب السلبى فيها وتركتها، وآمنت باليهودية، حوانيها وتأملتها ثم تركتها، وعندما جاء

> الإسلام تأمل جوانبه واعتنقه أخيرا. هذه الشخصية التي عرفتْ كل الأديان بما فيها عبادة النار، عندما يأتى الإسلام يتمسك به، فهذا تمجيد للإسلام، وهذا جديد لم نره في المسلسلات الإسلامية، وعندما نراه بلا شك سوف نتعرض للديانات والفلسفات والآراء المختلفة

> وسوف يكون هناك ثراء فكري عظيم. هـذا واحـد مـن ألاف الشـخصيات العظيمة، وفي رأيي أن هناك كنزا كبيرا اسمه "التراث الإسلامي" والشخوص الإسلامية والمواقف الإسلامية، وأن هذا الكنز أغلقت عليه بضبّة ومفتاح وقفل كبير جدا العقلية الأزهرية غير المتطورة وغير المتفهّمة لما يجب أن تكون عليه الدراما الإسلامية.

مسرح الستينات

■ ســؤال تقليدي لا بد من طرحه على عبدالغفار عودة لأن لرأيه تقلا كبيرا في هذا الموضوع، وهو عن مسرح الستينات: هل فعلا كان هناك مسرح عظيم في الستينات كما نسمع الآن؟ وما أهم العلامات البارزة في هذا المسرح؟

• عبدالغفار عودة: المسرح جزء لا يتجزأ من المسار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي الثقافي والفني، ولا أستطيع على الإطلاق أن أقول إن مسرح الستينات كان مسرحا عظيما من فراغ، فمسرح الستينات كان مسرحا عظيما لأنه عاصر مناخا سياسيًا واقتصاديًا واحتماعنا كانت فيه محاولات لقيام دولة اشتراكية تنبذ المحاولات الفردية، وتتجه

للمجموع لمصلحة المجموع، وكان هناك تطور ظاهر في المسرح، وبالتالي في كل الفنون، فالمسرح جمّاع لكل هذه الفنون، وعندما يزدهر المسرح تزدهر بالتالي كل

مسرح الستينات كان تعييرا عن مرحلة كان كل الموجود فيها على نفس المستوى، النقد كان علىٰ نفس المستوى، التأليف كان على نفس المستوى، الإخراج كان على نفس المستوى، الحياة السياسية الاجتماعية، الحياة الاقتصادية، كل شيء كان علىٰ نفس المستوى، كنت تحس بأن هناك انتفاضة مع قرارات يوليو الاشتراكية، ومع محاولة إيجاد صيغة لحياة الناس تكون مستقرة يجد المجموع فيها وجودا حقيقيًا وتطورا حقيقيًا.

المحظر والكم الهائل المائل من الممنوعات تتحول الشخصية الإسلامية إلى شخصية تطرح في الأعمال الفنية من خلال راو

هذا المسرح، مسرح الستينات، بالطبع يجب ألا نبكى عليه، كما نبكى على الأطلال، ويجب ألا نتمسك به باعتباره هو المنجيى الأول والأخير، لأن كل مرحلة لها ظروفها السياسية بالدرجة الأولى، ثم ظروفها الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على هذا المسار السياسي المحدُّد، ومن المعروف أيضًا عن المسرح أنه إذا كان مرتبطا ارتباطا وثبقا بالمسار السياسي فالاقتصادي فالاجتماعي، فإنه مرتبط بدرجة بتوفر الحرية الحقيقية أو الديمقراطية الحقيقية، فإذا كانت هناك ديمقراطية حقيقية، فإن المسرح سوف يتنفس ويزدهـ ويمارس وجـوده، وإذا كانت الديمقراطيّة مزيفة، فإننا لن نحد إلا مسرحا مزيفا، وفنًا مزيفًا لأن الفن الحقيقي لا ينبع ولا ينبت ولا ينتشر ولا يزدهر ولا يُثرى إلا في ظل هواء ديمقراطي أو مناخ ديمقراطي حقيقي مئة بالمئة.